٨

الآثار الإيجابية والسلبية للسياحة في ضوء الشريعة الإسلامية

تأليف

د. حسن فتحي مصطفى بهلول

مدرس الفقه المقارن

كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله الذي جعل الأرض ذلولاً نمشي في مناكبها[1]، والأنعام حمولة نستوي في مراكبها[2]، والسماء بناءً نهتدي في كواكبها[3].

نحمده على نعمه التي فتح أبواب مطالبها، ومننه التي قرن مُستقبِلها بذاهبها.

وصلى الله على سيدنا محمد، الحال من العلا في أشرف مراتبها، والحال عقد الضلالة، والهازم لمواكبها، وعلى آله وصحبه، ما ترددت النجوم في مطالعها ومنازلها.

وبعد..

فإن السفر والتنقل والسياحة جزء من حياة الإنسان قلما يستغني عنه الناس في بدو أو حضر.

وللإنسان من وراء السفر حاجات وأغراض دينية ودنيوية، فردية واجتماعية، فهو يسافر لطلب العلم، أو لطلب الرزق، أو لطلب الأمن، أو لطلب الشفاء، أو لطلب الثواب بالحج والعمرة أو الجهاد، أو لأغراض علمية كالمشاركة في الندوات أو المؤتمرات، أو لنيل الدرجات العلمية أو للتعرف على معالم البلدان الأخرى، أو للترويح عن النفس، وكل هذا مشروع ولا حرج فيه.

ولهذا كانت عناية الإسلام بالسفر والسياحة، فجعل له أحكاماً تقوم على التيسير والتخفيف عن السائح، ووضع له رخصاً وأحكاماً شتى في عباداته ومعاملاته.

وقد جعلت هذا البحث بعنوان:«**الآثار الإيجابية والسلبية للسياحة في ضوء الشريعة الإسلامية**»، وفي أربعة فصول.

الفصل الأول: في معنى السياحة في اللغة والاصطلاح.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: السياحة في اللغة.

المبحث الثاني: السياحة في اصطلاح المشتغلين بدراسة ظاهرة السياحة.

---

(١)اقتباس من قوله تعالى:(هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا) [الملك:١٥]

(٢) اقتباس من قوله تعالى:(وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗا)[الأنعام:١٤٢].

(٣) اقتباس من قوله تعالى:(وَعَلَٰمَٰتٖ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ)[النحل:١٦].

الفصل الثاني: في مفهوم السياحة في الإسلام.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: السياحة بمعنى الجهاد.

المبحث الثاني: السياحة بمعنى الصيام.

المبحث الثالث: السياحة بمعنى السير في الأرض للاعتبار.

الفصل الثالث: في الآثار الإيجابية وتطبيقاتها.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في انتشار العلم الشرعي والعلوم المادية الأخرى، والتطبيقات على ذلك.

المبحث الثاني: في انتشار دين الله تعالى.

المبحث الثالث: في ازدهار التجارة، والتطبيقات على ذلك.

الفصل الرابع: في الآثار السلبية وتطبيقاتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التأثر بعادات وسلوكيات الغرب والتطبيقات على ذلك.

المبحث الثاني: صعوبة الالتزام بأوامر الشريعة والتطبيقات على ذلك.

أسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا البحث طلاب العلم والفقه

الباحث

الفصل الأول

معنى السياحة في اللغة والاصطلاح

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: السياحة في اللغة[1]:

بالرجوع إلى مادة (س ي ح) يجد الباحث أنها تحتوي على معنى واحد، هو مطلق الذهاب في الأرض، وما ورد بمعنى الصائم، أو الذهاب في الأرض للعبادة والترهب أو غيرها، فإنها معان اصطلاحية مقيدة أو شرعية، فإطلاق لفظ السائح على الصائم هو معنى شرعي نتيجة الآثار الواردة في ذلك، وهو معنى فيه استعارة، لأن الصائم شابه السائح في الامتناع عن الملذات والشهوات، فأطلق عليه لفظ السائح لذلك[2].

في معجم مقاييس اللغة: السين والياء والحاء، أصل صحيح يدل على استمرار شيء، يقال: ساح في الأرض، قال الله (جل ثناؤه):(فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ)[التوبة:٢]. والسَّيْحُ: الماء الظاهر الجاري، والسَّيْحُ: العبادة المخططة، وسمي بذلك تشبيهاً لخطوطها بالشيء الجاري. والمساييح: هم الذي يسيحون في الأرض بالنميمة والشر والإفساد بين الناس. أهـ.

وفي اللسان: والسَّيْحُ: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض، وجمعه سيوح. والسياحة: الذهاب في الأرض للعبادة والترهب. أهـ.

وذكر في تاج العروس[3]: أن ما ورد في اللسان من كون السياحة: هي الذهاب في الأرض للعبادة والترهب أن هذا معنى اصطلاحي مقيد وهو محل تأمل. وأما السيوح والسَّيحان والسَّيْح: فإنه مطلق الذهاب في الأرض، سواء كان للعبادة أو غيرها. أهـ.

---

(١)ينظر:معجم مقاييس اللغة (١٢/٣)، ولسان العرب(٤٥١/٦)، وتاج العروس(٩٨/٤)، والمعجم الوسيط(٤٦٩/١).

(٢) قلت: السائح في زماننا هذا لا يمتنع عن الملذات، بل يتناول ما لذ وطاب في الأعم الغالب، وامتناع السائح عن الملذات والشهوات المباحة، يظهر أنه كان قبل الإسلام، وجاء الإسلام بمخالفته، وقام غلاة الصوفية بالتشبه بهم وساروا في البرية يتعبون أنفسهم، لا لهدف ولا غرض مشروع، وهي ليست من الإسلام في شيء، كما قال الإمام أحمد (رحمه الله تعالى)، ومن أراد التوسع في ذلك فلينظر كتاب «تلبيس إبليس» لابن الجوزي إن شاء.

(٣) ذكر في تاج العروس خلافاً في استعمال كلمة «تنزه» للخروج إلى البساتين، والخضر والرياض، وقال: إنه غلط قبيح، وقال: إن أصل هذا الكلام عن ابن السكيت لأنه قال: ومما يضعه الناس في غير موضعه قولهم: خرجنا نتنزه إذا خروجوا إلى البساتين، قال: إنما التنزه التباعد عن الأرياف والمياه؛ ومنه قيل: فلان يتنزه عن الأقذار، وينزه نفسه عنها، أي يباعدها عنه. واعترض ابن الشهاب عليه، ونصر المصنف قول ابن ا لسكيت، فليراجعه من أراد التفصيل. تاج العروس (١٠٥/١٩) مادة «نزه».

وفي المعجم الوسيط[1]: السائح: المتنقل في البلاد للتنزه، أو للاستطلاع والبحث والكشف ونحو ذلك، وجمعه سُيَّاح. والسياحة: التنقل من بلد إلى بلد طلباً للتنزه أو الاستطلاع والكشف والسَّيَّاح: الكثير السياحة، وهي: سياحة. أهـ.

(١) المعجم الوسيط ٤/١٦٩.

المبحث الثاني

السياحة في اصطلاح المشتغلين بدراسة ظاهرة السياحة

تعددت التعريفات عند المشتغلين بدراسة ظاهرة السياحة تبعاً لتعدد اهتماماتهم، فقد«خلصت بعض الدراسات إلى ثمانين تعريفاً مختلفاً للسياحة، وثلاثة وأربعين تعريفاً لمصطلح السائح والزائر[١]. فيعرفها شراتنهوفن بقوله: إنها التفاعلات – أي الأنشطة – الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة الناتجة عن وصول زوار إلى إقليم أو دولة بعيداً عن موطنهم الأصلي، والتي توفر الخدمات التي يحتاجون إليها وتشبع حاجياتهم المختلفة طوال فترة إقامتهم»[٢].

وهذا التعريف واضح فيه الاعتناء بالجانب الاقتصادي، وهذا المعنى يخص الدول والحكومات المعنية بهذا الجانب، وبعضها يعنى بالسياحة الدولية دون الداخلية[٣]،حيث حدد مؤتمر السفر والسياحة الدولية الذي نظمته الأمم المتحدة في روما عام ١٩٦٣م تعريفاً جديداً للسائح: بأنه الشخص الذي يزور دولة غير دولته التي يقيم فيها إقامة دائمة لأي سبب غير العمل والكسب»[٤].

وحيث إنني لا أركز في دراستي هذه على جانب معين من جوانب السياحة عند المشتغلين بدراسة ظاهرة السياحة وتطورها، لذا أرى أنه لزاماً علي وضع تعريف أنطلق من خلاله نحو موضوع البحث الذي أن بصدده:

وذلك أن إيجاد تعريف محدد والانطلاق منه يفيد في تحقيق أغراض منها:

- غرض شرعي إداري: حتى تقوم السياحة على وفق الشريعة المباركة، ويتم إيجاد النظم الإدارية التي تيسر بلوغ هذا الهدف.
- غرض تعليمي: حيث تعلم الأمة وتوجه الوجهة السليمة نحو السياحة الرشيدة.

---

(١)السياحة والتنمية في العالم الثالث(Bale & Smith,1988,p.4): نقلاً عن السياحة الأسس والمفاهيم دراسة تطبيقية على منطقة عسير، د. محمد بن مفرح بن شبلى القحطاني وصاحبيه، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ط. مؤسسة المدينة للصحابة (دار العلم) بجدة.

(٢)صناعة السياحة: أ. د محمد خميس الزوكة، ١٩٩٧م(ص٣٩) ، دار المعرفة الجامعية.

(٣)ينظر: نظرية السياحة: د. نبيل الروبي(ص٢٠)، مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية (د.ت).

(٤)الزوكة: ١٩٩٧م (ص٤١).

- غرض إحصائي: حتى يعرف حجم هذه الظاهرة ويتم إيجاد الحلول للمشكلات وتنمية المكتسبات[1].

أولاً: تعريف السائح:

السائح هو المسافر لأي مكان، ولأي غرض، غير هجرة وعمل.

شرح التعريف:

قولي:(المسافر) ليخرج من كانت مسافته لا يطلق عليها سفراً في العرف، أو من كانت مسافته دون مسافة القصر، عند من يرى مسافة محددة، واختياري هذا أرى أنه المناسب لدراستي هذه؛ لأن المسافة اختلف فيها، ففي الولايات المتحدة الأمريكية يعرف السائح الداخلي بأنه: الذي يسافر من موطنه لمسافة لا تقل عن خمسين ميلاً (تسعين كيلاً) على الأقل في اتجاه واحد للأعمال، أو المتعة ، أو شؤون شخصية أو أي غرض آخر، باستثناء ا لرحلة بين العمل والمنزل وسواء قضى ليلته خارجاً أو عاد في نفس اليوم، أما في كندا فإن السائح الداخلي هو الشخص الذي يسافر خمسة وعشرين ميلاً خارج حدود مجتمعه[2].

وقولي:(لأي مكان) لتدخل السياحة الداخلية في مفهوم السياحة، فإنه بالنظر إلى أهل ذلك المكان فإنهم ينتفعون اقتصادياً بالسياحة في أماكنهم، وكذا يتعدى النفع إلى الدولة بعامة إذا كان السائح من خارجها، وربما يتعدى النفع إلى غير الجانب الاقتصادي.

وقولي:(لأي غرض) سواء كان محموداً، أو مذموماً، فكثير من دول العالم المعاصر لا ترى بأساً بأن تشمل السياحة النوعين معاً، وتعمدت ذكر ذلك لكي ألفت الأنظار إلى وضع قائم يجب معالجته.

وقولي:(غير هجرة وعمل) لإخراج المقيم إقامة دائمة؛ لأن السائح إقامته مؤقتة، وكذا لإخراج من جاء بقصد العمل والكسب، فهو إن طال به المقام أصبح كأنه مقيم إقامة دائمة، وبالنظر إلى الجانب الاقتصادي فهو المستفيد الأول من البلد لا العكس في الغالب(والتجارة عمل ولكنها غير داخلة في مقصود العمل هنا).

ثانياً: تعريف السياحة:

---

(١) ينظر: نظرية السياحة:(ص٢١) بتصرف.

(٢) المصدر السابق.

السياحة هي التأثيرات المتبادلة بين المسافرين وأهل بلد المقصد.

شرح التعريف:

قولي:(التأثيرات) لأنه يلزم من الاحتكاك بين المسافرين وأهل البلد التي يصل إليها المسافرون،حدوث تأثيرات بين الطرفين، منها ما هو نافع، ومنها ما هو ضار، في مجالات شتى كالجانب الاقتصادي، والأخلاقي، والديني، والمعرفي... إلخ.

وقولي: (المتبادلة) لبيان عدم اقتصار التأثير على طرف دون الآخر.

وقولي:(بين المسافرين وأهل بلد المقصد)؛ لأن الذي يقدم المنتج السياحي للسائح، هم أهل البلد؛ لذا ا نحصر التأثير بين الطرفين في الأعم الغالب.

الفصل الثاني

مفهوم ا لسياحة في الإسلام

إن السياحة في الإسلام لها معان متعددة نبحثها إن شاء الله في المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول: السياحة بمعنى الجهاد

إن الإسلام غير كثيراً من المفاهيم عند عامة الناس، وربط هذه المفاهيم بمعالي الأمور، ومكارم القيم والأخلاق، فالسياحة عند السابقين عرفت بأنها مجرد السير في الأرض وإتعاب الأبدان في ذلك دون جدوى واضحة وحقيقية.

أخرج ابن جرير في تفسيره بإسناده من طريق ابن عيينة، عن وهب بن منبه:«أن السياحة كانت في بني إسرائيل وكان الرجل إذا ساح أربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون قبله، فساح ولد بغي أربعين سنة فلم ير شيئاً، فقال: أي رب أرأيت إن أساء أبواي وأحسنت أنا؟ قال: فأري ما أرى الساحون قبله»[(١)]أهـ.

الله أعلم بما كان يرى السائحون على عهد بني إسرائيل، فظاهر النص يفيد أن السياحة بالمعنى المتقدم، كانت مشروعة عندهم، لكن لا دليل على صحة هذا المعنى من كتاب ولا سنة، ويؤيد هذا ما رواه ابن هانئ عن أحمد بن حنبل، أنه سئل عن الرجل يسيح يتعبد أحب إليك، أو المقيم في الأمصار؟ قال:«ما السياحة في الإسلام من شيء، ولا من فعل النبيين ولا الصالحين»[(٢)] أهـ، فلو لم يعلم الإمام أحمد أنها كذلك، لما تجرأ(رحمه الله) على الجزم بهذا القول، وهو بالمنزلة المعروفة من الورع والتقوى.

ولما جاء الإسلام ارتقى بمفهوم السياحة عما كان سائداً، فعرفت بأنها الجهاد في سبيل الله، وشتان بين المفهوم القديم، والمفهوم الإسلامي الجديد، جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في السياحة فقال له:«إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»[(٣)].

---

(١)تفسير ابن جرير(٣٩/١١).

(٢) ينظر: تلبيس إبليس(ص٣٤٠)، واقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق العقل(٢٨٧/١).

(٣) أبو داود(٢٤٨٦)، كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة(٥/٣)، وصححه الحاكم (٨٣/٢) ، برقم (٢٣٩٨) وأقره الذهبي في التلخيص، كلهم من طريق القاسم بن عبدالرحمن عن أبي أمامة، وقال النووي في رياض الصالحين: رواه أبو داود بإسناد جيد.

وكأن هذا السائل جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن يذهب في الأرض سائحاً، كما كان معروفاً قبل الإسلام من السير في الأرض، وإتعاب البدن فيما لا فائدة حقيقية من ورائه، ومفارقة المألوفات والمباحات والملذات، فرده كما رد على عثمان بن مظعون التبتل(١).

عن سعد بن أبي وقاص قال:« رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»(٢).

وروى ابن المبارك عن ابن لهيعة(٣)، أخبرني عمارة بن غزية أن السياحة ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال:«أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله، والتكبير على كل شرف»(٤).

وما تبوأت السياحة في مفهوم الإسلام هذه المكانة الرفيعة؛ إلا لعظم مكانة الجهاد في الإسلام،ولا أدل على ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرةﷺ قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال:«لا تستطيعوه»(٥)، قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول:«لا تستطيعونه»، قال في الثالثة:«مثل المجاهد في

---

(١) ينظر: عون المعبود(٧/١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: (٣/٣٥٦) كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء رقم: (٥٠٧٣، ٥٠٧٤)، ومسلم (٢/١٠٢٠) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه... برقم : (١٤٠٢)، وعند الدارمي :(٢/٥٧٠) كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل رقم : (٢٠٩٢) عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء، بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:« يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟ قال: لا يا رسول الله، قال:«إن من سنتي أن أصلي وأنام، وأصوم وأطعم، وأنكح وأطلق، فمن رغب عن سنتي فليس مني، يا عثمان إن لأهلك عليك حقاً، ولعينك عليك حقاً»». قال سعد: فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين، على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هو أقر عثمان على ما هو عليه أن نختصي فنتبتل».

(٣) قال ابن القيم: وحديث ابن لهيعة يحتج منه بما روي عنه العبادلة كعبد الله بن وهب وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن يزيد المقرئ، قال أبو زرعة: ابن لهيعة كان ابن المبارك وابن وهب يتبعان أصوله، وقال عمر بن علي: من كتب عنه قبل احتراق كتبه مثل ابن المبارك وابن المقرئ أصح ممن كتب بعد احتراقها، قال ابن وهب: وكان ابن لهيعة صادقاً. أ.هـ (أعلام الموقعين ٢/٤٠٧).

(٤) كتاب الجهاد(ص٢١) برقم (١٧) مرسل يشهد له حديث أبي داود: «سياحة أمتي الجهاد». الشرف: المكان العالي(تاج العروس ١٢/٢٩٦).

(٥) قال النووي: هكذا هو في معظم النسخ «لا تستيطعوه»، وفي بعضها«لا تستيطعونه» بالنون، وهذا جار على اللغة المشهورة، والأول صحيح أيضاً وهو لغة فصيحة، حذف النون من غير ناصب ولا جازم.(شرح مسلم:١٣/١٨).

سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى»[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبلﷺ في غزوة تبوك:«إن شئت أنبأتك برأس الأمر، وعموده وذروة سنامه»، قلت: أجل يا رسول الله، قال:«أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد»[2].

قال تعالى :(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)[النساء:٩٥،٩٦].

والجهاد في سبيل الله تعالى ليس سياحة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فقط بل هو رهبانيتها أيضاً. روى الطبراني في الكبير بإسناده عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«إن لكل أمة سياحة، وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله، وإن لكل أمة رهبانية، ورهبانية أمتي الرباط في نحور العدو»[3].

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺأن رجلاً جاءه فقال: أوصني، فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك فقال: «أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل

---

(١) أخرجه مسلم:(١٤٩٨/٣) كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله برقم: (١٨٧٨) واللفظ له، وفي رواية للبخاري:(٣٠٢/٢) كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير برقم(٢٧٨٥) وفيه: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: «لا أجده»، قال:«هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ فقال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات.

(٢) مسند الطيالسي:(٧٦/٢) أحاديث معاذ بن جبل برقم : (٥٦٠) ورواه الحاكم: (٤٤٧/٢) واللفظ له، في كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة برقم: (٣٥٤٨)، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي في التلخيص بحاشية الكتاب، ورواه عبدالرزاق في مصنفه:(١٩٤/١١) برقم (٢٠٣٠٣) ، ورواه أحمد(٢٩٣/٥، ٣٠٠، ٣٠٩) رقم : (٢٢٠١١، ٢٢٠٦٣، ٢٢١١٨)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة برقم (٣٩٧٣)، والترمذي: (تحفة الأحوذي: ٣٠٣/٧)، في أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة برقم (٣٧٤٩)، والنسائي في الكبرى: (٤٢٨/٦)، والطبراني في الكبير: (٧٣/٢٠، ١٠٣، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨) برقم:(٢٠) رقم: (١٣٧/ ٢٠٠/ ٢٩١/ ٣٩٤/ ٣٠٤/ ٣٠٥) ، وقال محقق كتاب جامع العلوم والحكم شعيب الأرناؤوط وصاحبه: الحديث بمجموع طرقه صحيح: (١٣٤/٢)

(٣) قال في مجمع الزوائد:(٢٧٨/٥)، رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف.أ.هـ.

قلت: لكن يشهد لصحة معنى شقه الأول حديث أبي داود المتقدم، ولشقه الآخر حديث ابن المبارك الآتي

شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء»[1].

وخرج ابن المبارك عن زيد العمي عن ابن إياس عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«إن لكل امة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله جل وعلا»[2].

وفي وجه تسمية الجهاد بالرهبانية يقول أبو عبدالله الحليمي:«إن النصارى كانت تترهب بالتخلي من أشغال الدنيا، ولا تخلي أكثر من بذل النفس في سبيل الله فتقتل، وأيضاً فأولئك المترهبة كانوا يزعمون أنهم إنما يتخلون في الصوامع والديارات لئلا يؤذوا أحداً، ولا أذى أشد من ترك المبطل على باطلة؛ لأن ذلك يعرضه للنار، فإن تكن الرهبانية دفع الأذى عن الناس، فالجهاد دافع عن المجاهدين أعظم الأذى فهو الرهبانية إذن، لا ما تتوهمه النصارى»[3].

يقول ابن النحاس:«وأكثر ما يطلق الراهب على من رهب غيره، أي: خافه، والذي يظهر أن الراهب لما رهب الله فاجتهد في عبادته، ورهب الخلق أن يشغلوه عنها وأن يكونوا سبباً في سخط الله عليه وطرده عن بابه سمي فعله هذا رهبانية، كذلك المجاهد لما خاف الله فامتثل أمره وخاف الكفار أن يستولوا عليه وعلى غيره من المسلمين لو ترك جهادهم فبادر إلى قتالهم ودفعهم سمي فعله هذا رهبانية»[4].أ.هـ.

قال تعالى: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)[الحديد:٢٧]، وفي تفسير ابتدعوها معنيان:

---

(١) رواه أحمد: (١٠٢/٣) برقم: (١١٧٥٩)، قال في مجمع الزوائد: (٢١٥/٤): رواه أحمد وأبو يعلى: (٢٨٤/٢) رقم (٢٧)، ط. الأولى دار الثقافة العربية ١٤١٢هـ إلا أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني. قال: عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير، فذكره نحوه وزاد: واخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان، ورجال أحمد ثقات، وفي إسناده أبي يعلى ليشب بن أبي سليم وهو مدلس، وقال أيضاً في: (٣٠١/١٠): ورواه الطبراني في الصغير وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس. وقد وثق هو وبقية رجاله.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك: (ص٢١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٢٧٨/٥) : رواه أبو يعلى ، وأحمد إلا أنه قال:«لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد، وفيه زيد العمي وثقة أحمد وغيره وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، وفي علل الحديث لابن أبي حاتم: (٣١٧/١» قال: سألت أبي عن حديث رواه أبو إسحاق الفزاري وابن المبارك عن سفيان الثوري عن زيد العمي عن معاوية بن قرة«ابن إياس» عن أنس: فذكره. قال أبي: هذا حديث خطأ إنما هو معاوية بن قرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم مرسل.

قل لأبي زرعة: أيهما أصح؟ قال:«إذا زاد حافظ على حافظ قبل وابن المبارك حافظ»أ.هـ.

(٣) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ومثير الغرام إلى دار السلام: (١٦٦/١)، لابن النحاس. دار البشائر الإسلامية، ط١. ١٤١٠هـ.

(٤) المصدر السابق:

الأول: أنهم ابتدعوها من قبل أنفسهم [١].
الثاني: أن الله تعالى أعطاهم إياها فغيروا وابتدعوا فيها [٢].
وبعد أن ظهر جلياً معنى الرهبانية في الإسلام والنصرانية، لا يسع العقلاء إلا أن يمقتوا أمر غلاة المتصوفة الذين تشبهوا برهبانية النصارى المبتدعة، فحملهم إبليس اللعين على ترك الجمعة والجماعات بالوحدة والعزلة وترك النكاح، ولبس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم، وأكثرهم يخرج على الوحدة لا يستصحب زاداً ويدعي بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه في ذلك على طاعة وأنه يقرب بذلك من الولاية وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملهم على ترك التداوي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءاً إلا وضع له دواء، غير داء واحد الهرم» [٣].
وفي غلاة المتصوفة وغيرهم يصدق قوله صلى الله عليه وسلم :«لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟» [٤] ، أي وهل القوم إلا أولئك، ثم إن التشبه باليهود والنصارى لم يقف عند حد، فالصوفية قامت بالتشبه برهبانهم في سياحتهم فيما مضى ولا يزالون.
أما بالنسبة لعصرنا الحاضر فإن البشرية جمعاء تقدمت في مجال العلوم المادية بقيادة الغرب، وتفتقت أذهانهم عن مخترعات حديثة في مجال المواصلات والاتصالات، والإعلام وكثرت

---

(١) وعليه فالأحسن أن تكون (ورهبانية) منصوبة، بإضمار فعل، قال الزجاج: أي ابتدعوها رهبانية، كما تقول: رأيت زيداً، وعمراً كلمت.(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٣٦٢/١٧).

(٢) فتكون حينئذ معطوفة على الرأفة والرحمة في قوله تعالى:(وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)[الحديد:٢٧]، ينظر: الجامع لأحكام القرآن :(٢٦٣/١٧).

(٣) تلبيس إبليس بتصرف: (ص٣٣٩)، والحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد: (ص١١٠) رقم : (٢٩٢)، باب حسن الخلق إذا فقهوا، وأبو داود: (٣/٤) رقم : (٣٨٥٥)، والترمذي: (تحفة الأحوذي: ١٥٩/٦)، أبواب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه: (٢١٠٩)، وابن ماجه: (١١٣٧/٢) رقم: (٣٤٣٦)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (٤٢٦/١٣)، كتاب الطب رقم : (٦٠٦١، ٦٠٦٤)، المستدرك، كتاب الطب: (٤٤١/٤) رقم : (٨٢٠٦)، والبيهقي: (٥٧٧/٩) كتاب الضحايا، باب ما جاء في إباحة التداوي، رقم: (١٩٥٥٩) ، والحديث رواه أسامة بن شريك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري :(٣٦٨/٤) كتاب الاعتصام بالسنة، باب قوله صلى الله عليه وسلم :«لتتبعن سنن من كان قبلكم» برقم :(٧٣٢٠)، ومسلم: (٢٠٥٤/٤)، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى برقم : (٢٦٦٩) ، كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الشهوات، وأصبح السفر مريحاً، ووسائله سريعة جداً ، فصار همهم البحث عن المتعة أينما كانت، يتنقلون هنا وهناك بحثاً عنها، دفعاً للملالة عن نفوسهم، قال تعالى:(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)[محمد:١٢].

وتبعهم في ذلك كثير من المسلمين تشبهاً وإعجاباً بهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن الإسلام وسط بين طرفي نقيض، فلا رهبانية منحرفة تدعو إلى ترك عامة الشهوات من النكاح وغيره والغلو في العبادات صوماً وصلاة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرهط الثلاثة، الذين تقالوا عبادته:«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(١)].

قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[المائدة:٨٧]، وقال سبحانه:(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[الأعراف: ٣٢].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حمي الوطيس[(٢)] احتمى به صحابته ـ رضي الله عنهم ـ لإقدامه وشجاعته، قال البراء[(٣)]: كنا والله إذا أحمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذى به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم [(٤)].

ولا مادية موغلة في الشهوات، قال تعالى عن هذه الأمة:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)[البقرة:١٤٣].

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٥٤/٣) كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح برقم : (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم:(١٠٢٠/٢) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤونة، واشتغال من عجز عن المؤونة بالصوم برقم : (١٤٠١) والحديث رواه أنس بن مالك.ﷺ

(٢) قال ابن الأثير في النهاية : (٢٠٤/٥): وطس: في حديث حنين«الآن حمي الوطيس» الوطيس: شبه التنور. وقيل: الضراب في الحرب. وقيل: هو الوطء الذي يطس الناس، أي يدقهم. وقال الأصمعي: وهو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها. ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو من فصيح الكلام. عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق. وحديث«الآن حمي الوطيس» رواه أحمد: (٢٥٧/١) برقم: (١٧٧٥)، وبلفظ: «هذا حين حمي الوطيس»، رواه مسلم: (١٣٩٨/٣) كتاب الجهاد والسير برقم: (١٧٧٥)، وكلاهما عن كثير بن عباس بن عبدالمطلب.

(٣) هو أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري، استصغره رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر هو وابن عمر فردهما، توفي سنة ٧٢هـ، ينظر أسد الغابة (٣٦٢/١)(ت ٣٨٩)، والإصابة: (٤١١/١)، (ت٦١٨).

(٤) أخرجه مسلم: (١٤٠١/٣)، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين ، برقم : (١٧٧٦).

فسياحتنا ورهبانيتنا الجهاد في سبيل الله، أخرج الإمام أحمد عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[1].

وهذا الذي ذكرت أحد معاني السياحة في مفهوم الإسلام، و الكلام موصول بإذن الله تعالى في المبحث الذي يليه، والله تعالى أعلم.

(١)أخرجه أحمد عن ابن عمر: (٢/٦٩، ٧٠)رقم(٥١١٥، ٥١١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/٥٤٥) برقم: (٢٨٣١).

المبحث الثاني : السياحة بمعنى الصيام

إن في الصيام تعويداً للنفس على الصبر والاحتساب وترك الشهوات، وفي ذلك توطئة لها على تحمل مشاق الحياة ومتاعبها، فقد خلق الله الإنسان في كبد، ولا يزال كذلك حتى يلقى الله ـ عز وجل ـ، قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)[آل عمران: ١٤٢].

فمن كبح جماح نفسه وعودها على ترك الشهوات من غير رهبنة، لانت نفسه وانقادت له، ومن سهل عليه إلزام نفسه بالصوم، سهل عليه إلزامها بالجهاد، الذي هو ذروة سنام الإسلام ورهبانيته، ومن باب أولى بقية تكاليف الإسلام. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره»[(١)].

والصوم الذي يعود على تحمل مشاق الجهاد، هو سبب رئيس في دخول الجنة بعد رحمة الله تعالى، فعن أبي أمامةﷺ قال: قلت يا رسول الله: دلني على عمل أدخل به الجنة، قال:«عليك بالصوم فإنه لا مثل له»، وعند أحمد: فما رئي أبو أمامة ولا امرأته ولا خادمه إلا صياماً، قال: فكان إذا رئي في دارهم دخان بالنهار، قيل اعتراهم ضيف نزل بهم نازل[(٢)].

فالمجاهدون الذين اشترى الله جل وعلا منهم أنفسهم، نعتهم بنعوت تسعة لها شأن عظيم، فقال جل ذكره:(التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[التوبة: ١١٢].

---

(١) أخرجه أحمد:(٣٤٣/٢، ٥٠٠، ٤٩١، ٤٣٩) من حديث أبي هريرة رقم : (٧٥١٦، ٨٩١٩) مختصراً وبرقم:(٨٨٣٦، ٨٣٧٢) مطولاً، وأخرجه أيضاً في (١٩٣/٣، ٣٢١، ٣٦٠) من حديث أنس رقم (١٢٥٤٣، ١٣٦٥٦، ١٠١٤) مختصراً، وأخرجه البخاري : (١٨٩/٤) كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات عن أبي هريرة برقم : (٦٤٨٧) واللفظ له، وأخرجه مسلم: (٢١٧٤/٤) ط. دار الحديث في القاهرة، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها بلفظ حفت رقم (٢٨٢٢، ٢٨٢٣) من حديث أنس وأبي هريرة، قال النووي في شرحه لمسلم: (١٦٥/١): هكذا رواه مسلم «حفت» ووقع في البخاري «حفت» ووقع «حجبت»، كلاهما صحيح. قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها صلى الله عليه وسلم من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل الجنة إلا بارتكاب المكاره والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، وأخرجه أبو داود: (٢٣٦/٤) كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار عن أبي هريرة مطولاً برقم: (٤٧٤٤)، وأخرجه الترمذي: (٢٣٦/٧) أبواب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات من حديث أنس مختصراً برقم: (٢٦٨٥).

(٢) أخرجه أحمد:(٣١٣/٥، ٣١٤، ٣٢١، ٣٣١) برقم : (٢٢١٣٦، ٢٢١٤٥، ٢٢١٩١، ٢٢٢١٦، ٢٢٢٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٨٢/٣): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح، وأخرجه النسائي (بشرح السيوطي: ٤٧٤/٤) كتاب الصيام ، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصيام برقم : (٢٢١٩، ٢٢٢٠، ٢٢٢١، ٢٢٢٢).

وتقدم في مبحث الجهاد أن السياحة فسرت بالجهاد في سبيل الله تعالى، غير أن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن قوله تعالى:(السَّائِحُونَ) أي: الصائمون، ومنه قوله تعالى:(عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ)[التحريم:٥].

وقال الزجاج: ومذهب الحسن أن السائحين ها هنا هم الذين يصومون الفرض، وقيل: إنهم الذين يديمون الصيام.

وقال عكرمة: هم الذين يسافرون إلى طلب الحديث والعلم(١).

وقال ابن جرير: إن(السَّائِحُونَ) هم الصائمون، وأخرج بسنده عن عبيد بن عمير(٢) قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال:«هم الصائمون»(٣). أهـ.

وبسنده أيضاً عن أبي هريرة موقوفاً ومرفوعاً:«السائحون هم الصائمون» وأورد في ذلك الصحابة الصحابة والسلف كابن عباس(٤) وابن مسعود(٥) صلى الله عليه وسلم ، وسعيد ابن جبير ومجاهد والضحاك بن مزاحم وغيرهم(٦)».أهـ.

---

(١) فتح القدير، للشوكاني: (٤٠٨/٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:(٥٠٢/١٤) بتحقيق محمود شاكر، ط. مكتبة ابن تيمية القاهرة، وعبيد بن عمير بن قتادة الليثي، ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قاله مسلم، وعدة غيره من كبار التابعين، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر. التقريب ترجمة رقم(٤٣٨٥).

(٣) قال ابن كثير في تفسيره:(٤٠٧/٢): هذا مرسل جيد، وهذا أصح الأقوال، وذكره السيوطي في الدر المنثور: (٥٠٣/٣) من طريق عبيد بن عمير، عن أبي هريرة ونسبه إلى الفريابي، ومسدد في مسنده، وابن جرير، والبيهقي في شعب الإيمان، بيد أن ابن جرير لا يرفعه من هذه الطريق إلى أبي هريرة.

(٤) أثر ابن عباس لفظه:«كل ما ذكر الله في القرآن ذكر السياحة، هم الصائمون، لكن في المطبوعة حذف«ذكر» من قوله «ذكر السياحة» والعبارة مضطربة بعض الاضطراب، وأجود منه قول الضحاك: كل شيء في القرآن (السائحون) الصائمون، قاله المحقق محمود شاكر. وابن عباس: هو أبو العباس القرشي الهاشمي عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد وبنو هاشم محاصرون في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنوات، ضمه الرسول صلى الله عليه وسلم إليه وقال:«اللهم علمه الحكمة»، وقال له أيضاً «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، فكان يقال له: حبر العرب، وتوفي سنة ٦٨ من الهجرة بالطائف، وله ٧٠ سنة. ينظر أسد الغابة: (٢٩١/٣) (ت:٣٠٣٧)، والإصابة: (١٢١/٤) (ت:٤٧٩٩).

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: (٣٤/٧، ٣٥)، عن عبدالله بن مسعود، ثم قال: رواه الطبراني وفيه عاصم بن بهدلة، وثقه جماعة، وضعفه آخرون ، وبقية رجاله رجال الصحيح، وابن مسعود هو: أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب نعليه. قال صلى الله عليه وسلم :لَرِجْلُ عبدالله أثقل في الميزان من جبل أحد»، قال ابن حجر:أخرجه أحمد بسند حسن،توفي سنة ٣٢هـ، ينظر: أسد الغابة:(٣٨١/٣)(ت٣١٨٢)،والإصابة (١٩٨/٤)(ت: ٤٩٧٠).

(٦) جامع البيان: (٣٧/١١)، قال ابن كثير:(٤٠٧/٢): والموقوف أصح.

وأخرج ابن جرير بإسناده عن زيد بن أسلم قال: السائحات المهاجرات[1].

وقال ابن القيم: وفسرت السياحة بالصيام، وفسرت بالسفر في طلب العلم، وفسرت بالجهاد، وفسرت بدوام الطاعة، والتحقيق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق على لقائه ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال، ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات، وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً في طلب علم، ولا إدامة صيام، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والإنابة إليه وذكره[2]. أهـ.

وقول ابن القيم يحتمله المعنى، من حيث إن كل مسلم مأمور بأن يكون موصول القلب بالله تعالى في جميع أوقاته وأعماله، والقرآن الكريم والسنة المطهرة بينا ذلك وأوضحاه أشد الوضوح، وهذا مجال واسع للتنافس فيه طلباً لدخول الجنة ونيل الدرجات العلى، وضابط ذلك أن يكون هذا التنافس بما لا يخرج عن الهدي النبوي، لا كما يفعل غلاة الصوفية في سياحتهم المزعومة والتي تقدم ذكر شيء يسير عنها، إلا أنه يرد على قول ابن القيم (رحمه الله) حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها،وفيه قلت: يا رسول الله هل على النساء جهاد، قال: «نعم عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة»[3].

والحج والعمرة قد تحتاج المسلمة أن تسافر لأدائهما، إذا لم تكن من حاضري المسجد الحرام، فعندها يقال: إن سفر المرأة إلى الحج والعمرة داخل في المعنى اللغوي للسياحة، وهو الذهاب على وجه الأرض كما يسيح الماء، وهذا ما يقوي التفسير القائل بأن(سَائِحَاتٍ) أي مسافرات، سواء كان السفر لهجرة، أو اعتبار، أو اطلاع على آثار الأمم البائدة، وقد خصصت السنة عموم سفرهن بكونه مع زوج أو محرم لهن، حفظاً لهن[4].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري: (١٦٥/٢٨).

(٢) بدائع التفسير لابن القيم:(٣٨/٢). وينظر حادي الأرواح ص٧٥، ٧٦).

(٣) أخرجه أحمد: (٧٩/٦، ٨٠، ٨٣، ١٣٨، ١٨٨، ١٨٩)، برقم: (٢٤٤١٤، ٢٤٣٧٥، ٢٤٨٧٩، ٢٥٣٠٩، ٢٥٣٢٥)، والبخاري: (٤٧٠/١)، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور برقم: (١٥٢٠)، وفي (١٩/٢) كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء برقم: (١٨٦١)، وفي كتاب الجهاد والسير، باب جهاد النساء برقم : (٢٨٧٥، ٢٨٧٦)، أخرجه ابن ماجه: (٩٦٨/٢)، كتاب المناسك، باب الحج جهاد النساء برقم: (٢٩٠١)، وأخرجه النسائي(١٢١/٥)، كتاب المناسك، باب فضل الحج برقم (٢٦٢٧).

(٤) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي: (٢٢٥/١٦)، ط. دار الفكر بيروت.

فعلم حينئذ أن السياحة المقصودة ليست سياحة القلب، فهذا أمر مشترك بين جميع المسلمين ليتنافسوا فيه.

ويقول الشيخ ابن سعدي: والصحيح أن المراد بالسياحة السفر في القربات كالحج والعمرة، والجهاد وطلب العلم، وصلة الأقارب ونحو ذلك[1]. أهـ.

وتقدم أن جمهور المفسرين ذكروا أن السياحة هي الصيام، فإن قيل: إن الصيام قربة وهو داخل في هذا القول: أجيب: أن الصيام لا يحتاج إلى سفر.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:(٢/٢٩٠) للسعدي، مطبعة المدني، ١٤٠٨هـ.

المبحث الثالث

السياحة بمعنى السير في الأرض للاعتبار

لقد مر معنا في المبحثين السابقين تفسير قوله تعالى:(السَّائِحُونَ) حيث فسرت بالجهاد، والصيام، والسفر، وغير ذلك، إلا أن القاسمي، يرى أنه يجب حمل لفظ(السَّائِحُونَ) على معناه الظاهر الحقيقي، وهو: السائرون الذاهبون في الديار، لأجل الوقوف على الآثار، توصلاً للعظة بها والاعتبار ولغيرها من الفوائد، وأن ألفاظ القرآن يجب حملها على ظواهرها، وعلى معانيها الحقيقية، اللهم ما لم يمنع مانع عقلي، ولا مانع هنا من إرادة الحقيقة وقال: إن المعنى المجازي لا تجوز إرادته إلا عند قيام القرينة على منع الحقيقي دون المجازي[1]. أهـ.

قلت: إن المعنى الظاهر في قوله تعالى:(السَّائِحُونَ) مراد، بدليل بيانه صلى الله عليه وسلم أن السياحة الجهاد في سبيل الله، وهذا دخل في المعنى اللغوي، وهو مطلق الذهاب على وجه الأرض كما يسيح الماء، وأما المعنى المجازي فقد ورد ما يدل على إرادته، وهي جملة الآثار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن السلف في تفسيرالسياحة بالصيام، والتي تدل بمجموعها على صحة هذا التأويل، وليس بعده كما يقول بعضهم[2]، ولكن لا يدل ذلك على منع المعنى الحقيقي، إنما يحمل ذلك على أن تأويل السياحة بالصيام هو أحد معانيها، بدليل بيانه صلى الله عليه وسلم مرة أن السياحة هي الجهاد ثم في أخرى بأنها الصيام.

ومما يقوي هذا المذهب تفسير العز بن عبد السلام لقوله تعالى:(السَّائِحُونَ)فقال: «المجاهدون أو الصائمون أو المهاجرون أو طلبة العلم[3]».

والجهاد، والهجرة، وطلب العلم أفراد للمعنى العام للسير في الأرض.

ولقد جاء الأمر بالسير في الأرض في مواطن عدة من القرآن الكريم[4]، فمن ذلك:

---

(١) محاسن التأويل: (٢٢٥/١٦)، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨هـ.

(٢) كما يقول محمد رشيد رضا، ينظر: تفسير المنار: (٢٨٩/٨)، دار الفكر، ط٢، د. ت.

(٣) تفسير العز بن عبد السلام : (٥٣/٢) ، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٦هـ.

(٤) وردت في خمسة مواضع (بلفظ سيروا): ١ـ الأنعام: ١١، ٢ـ النمل:٦٩، ٣ـ العنكبوت: ٢٠، ٤ـ الروم: ٤٢،٥ـ سبأ:١٨، ووردت بلفظ(أفلم يسيروا، في أربعة مواضع: ١ـ يوسف: ١٠٩، ٢ـ الحج: ٤٦، ٣ـ غافر: ٨٢، ٤ـ محمد: ١٠، ووردت بلفظ (فسيروا) في موضعين: ١ـ آل عمران: ١٣٧، ٢ـ النحل: ٣٦.

١ـ قوله تعالى:(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)[الأنعام: ١١].

٢ـ قوله تعالى:(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[العنكبوت: ٢٠].

٣ـ قوله تعالى:(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا)[محمد: ١٠].

قال الزمخشري: فإن قلت: أي فرق بين قوله:(فَانْظُرُوا)، وبين قوله:(ثُمَّ انْظُرُوا) قلت: جعل النظر مسبباً عن السير في قوله:(فَانْظُرُوا) فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين، وأما قوله:(سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا) فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في آثار الهالكين. ونبه على ذلك ب(ثُمَّ)، لتباعد ما بين الواجب والمباح. أهـ[١] ، وبه قال البيضاوي[٢].

وقال الشيخ زاده في حاشيته على القاضي البيضاوي: وقيل يجوز أن يكونا واجبين وثم لتفاوت ما بين الواجبين، كما في قولك توضأ ثم صل، ويؤيد هذا الاحتمال أن جعل السير ها هنا سير إباحة وفي غيره سير إيجاب تحكم بلا دليل، وإن وجوب السير كوجوب الوضوء في أن كل واحد منهما مفتاح لما بعده غيره مقصود لذاته.أهـ[٣].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره لآية الأنعام عند قوله تعالى:(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ): إنه يدل بعمومه على وجوب السياحة وإن جعل الزمخشري والبيضاوي الأمر فيه للإباحة... نعم إن الخطاب في هذه الآية للمشركين المكذبين، وإن الغرض منها الدلالة على صدق الآية التي قبلها

---

(١) الكشاف:(٨/٢)، دار الريان للتراث، ط. الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٢) حاشية زادة على البيضاوي: (١٥٤/٢)، البيضاوي: هو أبو الخير ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي الشافعي، إمام في التفسير والمنطق واللغة والفقه، له المنهاج وشرحه في الأصول، توفي سنة ٦٨٥هـ ينظر: شذرات الذهب: (٦٨٥/٧)، ومعجم المؤلفين: (٩٧/٦).

(٣) حاشية زاده على البيضاوي ١٥٤/٢، وزادة: هو محمد محيي الدين بن مصطفى القوجوي مفسر من الفقهاء الحنفية، له حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، وشرح الوقاية في الفقه، توفي ٩٥١هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: معجم المؤلفين:(٣٢/١٢)، والأعلام: (٩٩/٧).

الناطقة بما حل من عقاب الله بالساخرين من الرسائل والمستهزئين بهم من قبلهم ولكن العبرة بعموم اللفظ دون السبب الخاص لنزوله والاحتجاج به... أهـ[1].

قلت: إنه بالنظر إلى ما يذهب إليه الزمخشري والبيضاوي من القول بأن الأمر بالسير في الأرض للإباحة، لهو أقرب إلى الصواب من القول بالوجوب، وإن الأولى أن يصرف الأمر إلى الندب للآتي:

١ـ إنه لم ينقل عن أحد فيما أعلم أنه قال بإثم من لم يسر في الأرض للعظة والاعتبار.

٢ـ إن الخطاب في هذه الآية موجه للمشركين المكذبين، وأن الغرض منه الدلالة على صدق الآية التي قبلها الناطقة بما حل من عقاب الله بالساخرين من الرسل والمستهزئين بهم من قبلهم، كما هو نص كلام الشيخ محمد رشيد رضا نفسه. وما تقدم كاف لصرف الأمر من الوجوب إلى الندب. قال القرطبي: وهذا السفر مندوب إليه إذا كان على سبيل الاعتبار بآثار من خلا من الأمم وأهل الديار [2].

٣ـ والشيخ زاده في تنظيره بالوضوء والصلاة، في معرض بيانه لما يمكن أن يكون عليه التفاوت ما بين الواجبين، إن أراد به قياس السير والنظر على قوله: توضأ ثم صل، فإنه قياس مع الفارق؛ لأنه معلوم بالأدلة الثابتة أن الوضوء شرط في صحة الصلاة وليس كذلك السير؛ «ولأن السير يحتمل أن يكون بالعقول والفكر، ويحتمل أن يكون بالأقدام» [3]. والإنسان قد يستغني عن السير ببدنه إذا توفرت له والوسيلة التي تنقل له هذه المشاهد والآثار كأنها ماثلة للعيان أمامه. مثل الأفلام العلمية الدقيقة، وإذا قلنا بوجوب السير بالمعنى الظاهر – أي السير بالبدن – حينئذ لا يسقط عنه الوجوب بمشاهدة الأفلام العلمية، والتي قد يكون أكثر دقة وتفصيلاً.

والسير في الأرض للاعتبار على نوعين:

النوع الأول: السير في الأرض من أجل النظر في آثار الهالكين، وكيف كان عاقبة أمرهم نتيجة تكذيبهم لأنبياء الله ورسله، وكفرهم بالله جل وعلا.

---

(١) تفسير المنار: (٨/٢٩٠)، ومحمد رشيد: هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، توفي سنة ١٣٥٤هـ. ينظر: الأعلام:(٦/١٢٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٦/٣٩٥)، ط٢، والقرطبي: هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، الفقيه المفسر المحدث، له التفسير الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى والآخرة، توفي سنة ٦٧١هـ، ينظر: شذرات الذهب: (٧/٥٨٤)، ومعجم المؤلفين: (٨/٣٣٩).

(٣) ينظر: تفسير البغوي معالم التنزيل: (٣/١٣)، دار طيبة ، ١٤٠٩هـ.

وهذا النوع قد أكثر القرآن الكريم من بيانه، ومن ذلك قوله سبحانه:

١- قال تعالى:(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[الروم:٩].

٢- قال تعالى:(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[غافر:٨٢].

٣- قال تعالى:(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا)[محمد:١٠]

النوع الثاني: السير في الأرض من أجل الوقوف على بديع صنع الله تعالى وكيفية بدء الخلق، لقياس النشأة الآخرة على الأولى، قال تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[العنكبوت:٢٠].

يقول د. عبد العليم خضر: أي سيروا في الأرض لتعرفوا تاريخها، وما تعاقب عليها من عصور جيولوجية مختلفة، فالإنسان لم يشهد خلق الأرض وتطورها، قال تعالى:(مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ)[الكهف:٥١]... ولذلك أمره الله بالسير في جنباتها ليرى كيف بدأ خلق الأرض وكيف تم ذلك في ستة أيام، وسمح الله جل وعلا له بالنظر في آثار مرسومة بدقة في الصخور... تحكي كيف بدء الخلق.

ولن نستطيع معرفة بدء الخلق على الأرض إلا إذا توصلنا إلى العمر الزمني لها من خلال فحص صخورها بدقة... والآية الكريمة تدعونا بوضوح إلى النظر، وليس النظر بالعين المجردة فقط هو المقصود، وإنما النظر بالعقل، والرياضيات،وبالعين المجردة، والعين المكبرة، وآلات الحفر، والرصد، والتحليل العملي،والكيميائي،والتحليل بالأشعة... كل ذلك تدعونا إليه الآية الكريمة توصلاً إلى بدء الخلق وتحديد العمر الزمني للأرض[1].أهـ.

إن النظر في كيفية بدء الخلق علم قائم بذاته، وبيانه في كتب الإعجاز العلمي، وهو يلقي اهتماماً علمياً كبيراً، وخاصة بين الدول المتقدمة علمياً، يسر الله جل وعلا لها اكتشاف هذه الحقائق

(١) المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، للدكتور عبد العليم عبدالرحمن خضر، الدار السعودية للنشر، ط. الثالثة ١٤٠٧هـ،(ص٣٣٠)، وما بعدها بتصرف، ولم أعثر له على ترجمة إلا ما وجدت على غلاف كتابه، وهو أنه رئيس قسم الجغرافية بكلية العلوم العربية والاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم.

العلمية؛ لإقامة الحجة على الناس(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)[الأنفال:٤٢]، وقال سبحانه:(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[فصلت:٥٣]. ومن أجل أن يتحرر الإنسان من عبودية غير الله جل وعلا، فالسياحة بهذا المعنى لهي جديرة بأن يهتم بها العقلاء، من أجل زيادة الإيمان وترسيخه في النفوس، والدعوة إلى الله جل وعلا، فسيروا أيها العقلاء في الأرض للنظر والاعتبار، وإياكم وسير الغافلين الماجنين.

وفي نهاية هذا الفصل بمباحثه الثلاثة، يتحصل لدينا الأقوال التالية في بيان معنى السياحة في مفهوم الإسلام.

١ـ الصيام: وردت فيه جملة آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلف تدل بمجموعها على صحة هذا التفسير.

٢ـ الجهاد: ورد فيه حديث أبي أمامة صلى الله عليه وسلم ، وكذلك يشمله المعنى اللغوي وهو:«الذهاب على وجه الأرض كما يسيح الماء». ويقول القاسمي[1]: لو أخذ هذا الحديث تفسيراً للآية لالتقى مع كل ما روي عن السلف فيها؛ لأن الجهاد في سبيل الله، كما يطلق على قتال المشركين، يطلق على كل ما فيه مجاهدة للنفس في عبادته تعالى، ومنه الهجرة، والصوم، والسفر للتفقه في الدين، أو للاعتبار.

٣ـ السفر في طلب العلم.

٤ـ السفر في تحصيل القربات.

٥ـ الهجرة.

٦ـ السير في الأرض للاعتبار.

٧ـ دوام الطاعة: إن كل سائح بالمعاني المتقدمة هو مستمر على الطاعة فيما يعمله.

(١) ينظر: محاسن التأويل: (٨/٣٢٥).

الفصل الثالث

الآثار الإيجابية وتطبيقاتها

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول

انتشار العلم الشرعي والعلوم المادية الأخرى والتطبيقات على ذلك

كان محمد صلى الله عليه وسلم نبياً أمياً، لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى:(وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)[العنكبوت:٤٨]، وبعث صلى الله عليه وسلم في أمة أمية، قال تعالى:(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[الجمعة:٢]، وقال صلى الله عليه وسلم :«إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا، يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين» (١).

وكان أول ما نزل عليه من الوحي قوله تعالى:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[العلق: ١-٥]، فكان نزول هذه الآيات إيذاناً ببداية عهد العلم والهدى والنور، الذي استضاءت به البشرية جمعاء إلا من أبى.

وبسياحة جيوش الإسلام ودعاته في الأرض، انتشر هذا النور، «وتفرق علماء الصحابة في الأمصار الإسلامية، فقاموا فيها بحركة علمية، والتفت حولهم تلاميذ أخذوا العلم عنهم وأذاعوه بين الناس، ولم يكن جميع هؤلاء من العرب بل كان بينهم كثير من الموالي، وكانت عناية المسلمين في صدر الإسلام مقصورة على العلوم الدينية، وهي القرآن وتفسيره والحديث وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوى الشرعية فيما يجد من مشكلات، وما يعرض من أحداث. ولذلك نلاحظ أن العلوم المتصلة بالدين قد انتشرت في عهد بني أمية، بخلاف ما كانت عليه الحال أيام العباسيين الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها (٢).

---

(١) أخرجه البخاري، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (٢/٢٣) كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا نكتب ولا نحسب»رقم : (١٩١٣).

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي الاجتماعي:(١/٤٠٤)د. حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، ط١٣، ١٤١١هـ.

والحركة العلمية التي أحدثها الصحابة – رضي الله عنهم ـ في الأمصار التي تفرقوا فيها تفاوتت في منهجها بتفاوت هؤلاء الصحابة، وتأثر تلاميذهم بهم، وقد تمايز في هذا التفاوت منهجان.

الأول: منهج«أهل الرأي»، أو مدرسة الكوفة.

الثاني: منهج «أهل الحديث»، أو مدرسة المدينة بالحجاز [١].

وانتهت رئاسة مدرسة الكوفة إلى ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وشريح القاضي، وأبي حنيفة، وانتهت رئاسة مدرسة المدينة إلى الإمام مالك [٢].

وساح كثير من علماء الإسلام في الأرض بحثاً عن طلب العلم الشرعي وتحصيله، منهم عبدالله بن المبارك، قال أحمد بن حنبل:«لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه؛ رحل إلى اليمن وإلى مصر وإلى الشام والبصرة والكوفة... [٣].أهـ. وغيره كثير جداً.

وقبل ذلك ساح نبي الله موسى عليه السلام، وفتاه في طلب العلم، حيث التقيا بالخضر فقال له موسى كما حكى عنه ربه: (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)[الكهف:٦٦]، وكان منهما ما كان، وقصتهما مذكورة في القرآن والسنة.

وفي زماننا هذا تقوم جامعات إسلامية كالأزهر وجامعات المملكة العربية السعودية، بإعطاء المنح الدراسية لكثير من الطلبة المسلمين في البلاد الإسلامية؛ ليتعلموا ويرجعوا إلى أوطانهم فينشروا العلم الشرعي بين أهلها، نسأل الله أن يكثر من هذه المنح، فالأمة بحاجة ماسة إلى أضعاف أضعاف هذه الجهود المبذولة، فقد كثر الجهل وتكالب الأعداء من كل حدب وصوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبالنسبة للعلوم المادية، فإنه لا يخفى أن السبب الرئيس فيما تجمع لدى المسلمين في أيام عزهم وتمكينهم في الأرض من علوم مادية يرجع إلى سياحة جيوشهم في الأرض؛ ذلك أنهم وقفوا على علوم الأولين من آشوريين، وبابليين ومصريين، وفرس، وهنود، ويونان، فقاموا بترجمة كتبهم إلى اللغة العربية، وكان خلفاء المسلمين يرسلون أحياناً العلماء إلى أعدائهم الروم؛ ليشتروا منهم الكتب العلمية اليونانية، ولقد عكف علماء العرب والمسلمين خمسين عاماً يترجمون، ثم انكبوا

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي، لمناع القطان: (ص٢٢٥)، مؤسسة الرسالة، ط٢٦، ١٤١٩هـ.

(٢) تاريخ الفقه الإسلامي، لعمر الأشقر: (ص٨٦ ،٨٧)، دار النفائس، ط٣، ١٤١٢هـ.

(٣) الرحلة في طلب الحديث: (ص٩١)، للخطيب البغدادي.

على التصنيف والابتكار، وإليهم يعود الفضل بعد الله جل وعلا في تقديم كثير من الاكتشافات العلمية للبشرية[1].

ولقد تتلمذ الغرب على أيدي علماء المسلمين فترة من الزمن، وقام فرديرك الثاني في عام ٦١٢هـ بتأسيس جامعة نابولي لترجمة العلوم العربية إلى اللغة اللاتينية، ونشرت في جميع أجزاء أوروبا... وبقيت جامعات فرنسا وإنجلترا وإيطاليا تعتمد على المراجع العربية إلى ما بعد النهضة الأوربية الكبرى[2].

واليوم يسيح المسلمون في دورة عكسية إلى الغرب؛ ليدرسوا العلوم المادية في جامعات أمريكا وأوروبا، التي تحفل بالمخاطر العظيمة على عقيدة وسلوك الدارس هناك؛ لذلك قيد العلماء جواز سياحة الطالب في البلاد الأجنبية لكون هذه العلوم لا توجد في بلاد المسلمين، وقى الله المسلمين من كل سوء، وحفظ عليهم دينهم، وأرجع إليهم عزهم ومجدهم.

والله تعالى أعلم

(١) ينظر: روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم: (ص٢٤، ٢٥، ٢٦)، د. علي بن عبد الله الدفاع، مؤسسة الرسالة، ط١/١٤١٨هـ.

(٢) روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم: (ص٢٨).

المبحث الثاني

انتشار دين الله تعالى

السياحة سبب رئيس من أسباب انتشار دين الله تعالى في الأرض، فلو أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم أهل جزيرة العرب، لم يرسل إلى أهل زمانه، ولم تخرج الجيوش والدعاة، فهل كان بالإمكان أن ينتشر دين الله تعالى في الأرض؟

ورسالة الإسلام عامة للناس جميعاً، قال سبحانه:(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[سبأ:٢٨]، ولن يقبل الله جل وعلا من الناس إلا الإسلام فقال سبحانه:(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[آل عمران: ٨٥]، ولما كان الملأ من كل قوم يقفون حاجزاً بين الناس وما يختارون لأنفسهم؛ لأنه(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[البقرة:٢٥٦] فسقطت عروش الفرس والروم، وفتحت الهند والسند،وانتشرت الفتوحات الإسلامية، وانتشر دين الله تعالى بين الناس، لما رأوا من عدل الإسلام ونوره ، ونظامه الرباني العظيم.

والسياحة في الأرض لا تقتصر على الداعين، بل وجدنا في التاريخ أناساً يسيحون في الأرض يبحثون عن الدين الحق، يلقون في سبيل ذلك المتاعب والمصاعب والمشاق واحدة بعد الأخرى، وهم صابرون، مما جعل لسياحتهم هدف سام، يتفق وحقيقة وجودهم في هذه الأرض، فإن الله جل وعلا خلق الناس لعبادته، وهو مبتليهم في هذه الدنيا بالسراء والضراء؛لينظر كيف يعملون؟ والسياحة في الغالب لا تكون إلا عن اقتدار مادي لتكاليف السفر، فهل يعي الأغنياء هذه الحقيقة؟

ثم أين المسلمون اليوم عن العالم؟ لم لا يسيحون في الأرض، لبيان الدين الحق للناس؟ فهم أحوج ما يكونون اليوم إليهم؛ لكشف الغشاوة التي أحدثتها الحضارة المادية المعاصرة على العيون، فظن المنهزمون أن سبب تأخرنا التقني هو في تعاليم ديننا، أنسينا أن الله جل وعلا وصف الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس، وسبب هذه الخيرية ثلاثة أمور: إيمانها بالله، وأمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر، فقال سبحانه:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[آل عمران: ١١٠]، أيعقل أن يخرج المسلمون للسياحة في بلاد الكفر والفسق، لمشاهدة مدن الألعاب أو للنزهة، ويتركوا مهمتهم الأولى التي انتدبهم الله لها؟ فإننا أمة ابتعثنا الله لإخراج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فإلى سياحة العقلاء، وحذار من سياحة الغافلين يا عباد الله.

والله أعلم

المبحث الثالث

ازدهار التجارة، والتطبيقات على ذلك

مهد الله جل وعلا الأرض، وجعلها موطأ للعيش، فحث على السياحة لطلب الرزاق والمنافع فقال سبحانه:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)[الملك:١٥] ، قال ابن كثير: أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها، وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات... [(١)]. أهـ.

وشهد الله جل وعلا أن في السياحة منافع، فقال لخليله إبراهيم عليه السلام:(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ)[الحج: ٢٧،٢٨]، قال ابن كثير: قال ابن عباس: منافع الدنيا والآخرة. أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات [(٢)].أهـ.

ولقد امتن الله جل وعلا على قريش بأن أطعمهم من جوع وجعلهم آمنين في حرمه، ويسر لهم السياحة للتجارة في فصل الصيف إلى الشام، وفي فصل الشتاء إلى اليمن، فقال سبحانه:(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(١)إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(٢)فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)[قريش: ١-٤].

ولقد ساح رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة إلى الشام في تجارة المدينة لخديجة ـ رضي الله عنها – وجاء بضعف ما كانت تكسب في تجارتها [(٣)].

وسياحة التجارة في زماننا ليست كسياحة الأوائل، الذين كانوا يرحلون على الإبل والبغال والحمير، فتطور وسائل المواصلات جعل التجار يسيحون في العالم كله في مدة قصيرة جداً، وينقلون كميات كبيرة من المنتجات الصناعية، والزراعية وغيرها، فصار الناس يأكلون فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء فازدهرت التجارة، وصار أصحاب المصانع ، والمزارع يجدون لمنتجاتهم أسواقاً في شرق العالم وغربه، وشماله وجنوبه، وصار كثير من الناس في رغد من العيش نتيجة ذلك.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/٤٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣/٢٢٦).

(٣) السيرة لابن هشام: (١/١٣٦)، دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢٠هـ.

والسياحة لا يقوم بها إلا الأغنياء في الأعم الغالب، فكان بداهة أن تزدهر التجارة أينما حلوا، ونسبة الازدهار تعتمد على مدة بقائهم في البلد المزار، وحجم إنفاقهم فيه، فقد«بلغت عائدات السياحة في العالم نحو ٥٣٢ مليار دولار عام ١٩٩٨م، وهذا الرقم يفوق صادرات الغذاء في العالم، والتي لم تتجاوز ٤٤٣مليار ، وأن عدد السياح بلغ عام ١٩٩٩م ٦٥٧ مليون سائح» [١]، «وفي عام ١٩٨٦م ازداد دخل السياحة العالمية على إيرادات النفط، ويقدر عدد السائحين الخليجيين سنوياً بأكثر من خمسة ملايين سائح، السعوديين منهم ٣,٥مليون سائح يصرفون أكثر من ٥٠ مليار ريال سنوياً»[٢].

ومعلوم أن الشارع الحكيم يحث على السير في الأرض، للاعتبار ولطلب الرزق والتكسب، ولكل مباح من علاج وطلب علم أو استطلاع ونحوه، بما لا يخل بتعاليم ديننا الحنيف، إلا أنه لا بد من التذكير بما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله:«لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما وضعه، وعن علمه ماذا عمل فيه» [٣]، وفي الحقيقة فإن السياحة لا تؤدي إلى ازدهار التجارة فقط، بل تؤدي إلى ازدهار كثير من القطاعات الاقتصادية كالخدمات الفندقية، والنقل، والاتصالات وغيرها.

والله تعالى أعلم

(١) مجلة الشقائق، العدد السادس والأربعون، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ (مجلة شهرية جامعة).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) أخرجه الترمذي(التحفة: ٨٥/٧)أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص رقم: (٢٥٣٢)، عن أبي برزة، وقال: حسن صحيح، والدارمي واللفظ له: (١٤٢/١) المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة رقم: (٥٤٣) عن معاذ بن جبل. والحديث يروى عن غيرهما من الصحابة كذلك.

الفصل الرابع

الآثار السلبية وتطبيقاتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول

التأثر بعادات وسلوكيات الغرب والتطبيقات على ذلك

اعتنى الإسلام بشخصية المسلم، فصاغه صياغة متميزة ومستقلة، عن اليهود والنصارى والمشركين، فأمره بمخالفتهم، وعدم اتباعهم، بل وعدم مشابهتهم، فقال صلى الله عليه وسلم :«من تشبه بقوم فهو منهم» (١).

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجهاً عديدة، لمخالفة أهل الكتاب والمشركين، فمن ذلك.

١- الأمر بإعفاء اللحية، مخالفة للمشركين، فقال:«خالفوا المشركين، وفروا اللحى وأحفوا الشوارب»(٢).

٢- الأمر بصبغ اللحية مخالفة اليهود والنصارى، فقال:«إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم» (٣).

٣- الأمر بالصلاة في النعال والخفاف، مخالفة لليهود، فقال:«خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم» (٤).

---

(١) أخرجه أحمد ٦٨/٢، ٨٩، ١٢٤ بأرقام ٦٦٧/٥١١٥، ٥١١٦/ ٦٦٨، ١٢١٣/٥٦٦١. وأبو داودد ٤٣/٤ كتاب اللباس، باب لباس الشهرة برقم ٤٠٣١. رواه أحمد مطولاً، وأبو داود مختصراً واللفظ له، عن ابن عمر.

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما – (٧٣/٤) ، كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر رقم :(٥٨٩٢).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة :(٤٩٣/٢)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦٢).

(٤) أخرجه أبو داود عن شداد بن أوس: (١٧٣/١)، كتاب الصلاة في النعل رقم (٦٥٢).

وغيرها من الأحاديث التي تأمر بمخالفتهم، حتى أن اليهود عندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن فعلهم: أنهم كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت فقال:«اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه» [1].

ولكن هذه الشخصية التي حرص الإسلام على تمييزها، وأن لا تتبع غيرها من الأمم، تعرضت لتأثيرات مريعة من قبل الغرب، في سلوكها وعاداتها وثوابتها، حتى فقد الكثير بالفعل هويتهم الإسلامية، وبعضهم يتأرجح بين تعاليم الإسلام وغيره من المذاهب والمعتقدات الأخرى، ويرجع ذلك إلى أمور منها:

١ـ تفشي الجهل بين المسلمين في دينهم ونشوء البدع والخرافات بينهم.

٢ـ تخلف المسلمين في العلوم المادية في الأزمان المتأخرة، وتقدم أعدائهم، فهزموا أمام عدوهم، ووقعوا تحت حكمه مدة من الزمن، فنحيت الشريعة، وحكمت القوانين الوضعية ونشر الفساد.

ونشأ عن الجهل وتفشي البدع والخرافات، والتخلف في العلوم المادية، والهزيمة العسكرية، هزيمة داخلية نفسية، هي أخطر من الهزيمة على أرض المعركة، فصار المسلمون ينظرون إلى عدوهم بإعجاب، ويتلقون عنه، ويقلدونه في كل شيء تقريباً، يقول ابن خلدون: إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيه ونحلته،وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها، وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب...» أهـ[2]، وهذا ما تعاني منه الأمة اليوم.

وظاهرة السياحة في هذا العصر في بعض جوانبها، ما هي إلا استكمال لمسلسل الغزو الفكري، الذي ابتليت به الأمة، فسياحة الإعلام في عقول الأمة إن كانت لكافية، فكيف إذا ساح الشاب المسلم – المعجب بهم أصلاً – بينهم وخالطهم؟ أو كيف إذا ساح أهل الغرب بين أظهر المسلمين؟

(١) أخرجه مسلم عن أنس: (١/٢٤٦)، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله رقم : (٣٠٢).

(٢) مقدمة ابن خلدون: (ص١٤٧) الفصل الثالث والعشرون، دار الفكر.

ونموذج لمظهر من مظاهر التأثر بهم، ما نشاهده من ارتداء شباب الأمة لزي أهل الغرب، مرسوم عليه أعلام الدول الأجنبية، وكتابات بغير العربي، لعبارات سوقية، وسماع لأصوات الموسيقى تصدح في سياراتهم بأصوات عالية جداً.

وأما بالنسبة للنساء فحدث ولا حرج، تبرج وسفور، وقصات شعر، وموضات، تشبهاً بالأجنبيات، وملابس ينطبق على لابساتها قوله صلى الله عليه وسلم :«صنفان من أهل النار لم أرهما... ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (١).

فيا للعجب من أناس تركوا الاقتداء بنبيهم صلى الله عليه وسلم والأخذ بما أمرهم به، وأخذوا بسلوكيات، وعادات الغرب في الملبس والمأكل والمشرب وغير ذلك، وهذا لعمري أمر خطير لو كانوا يفقهون.

قال ابن تيمية: إن المشاركة في الهدي الظاهر (٢) تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما، في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم، يجد من نفسه نوع انضمام إليهم... (٣).أهـ.

ولقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن أمته سوف تتبع أهل الغرب في هديهم، محذراً من فعلهم فقال:«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع». فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال:«ومن الناس إلا أولئك» (٤).

وقال أيضاً:«لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال:«فمن» (٥).

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة: (٣/١٦٨٠)، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، (٢١٢٨).

(٢) الهدي الظاهر: هو ما يظهر من سلوك الإنسان وشكله، ويحسنه من حوله، من أنماط السلوك والتصرفات القولية والعملية، كالأكل والشرب، والكلام، واللباس، والتعامل مع الآخرين، وممارسة الحياة العملية، والتعبير عنها. أما الهدي الباطن: فهو ما لا يدرك بالحواس: من النوايا والاعتقادات والأفكار ونحوها. ما لم يعبر عنها بقول أو فعل(حاشية اقتضاء الصراط المستقيم: (١/٧٩).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم: (١/٧٩) تحقيق العقل.

(٤)أخرجه البخاري عن أبي هريرة:(٤/٣٦٧) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله صلى الله عليه وسلم :«لتتبعن سنن من كان قبلكم»رقم: (٧٣١٩).

(٥) تقدم تخريجه.

فعلى المسلمين أن يتشبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام-رضي الله عنهم- أجمعين وبالصالحين من بعدهم، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كما تقدم قال:«من تشبه بقوم فهو منهم».

قال ابن تيمية: إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة، وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة، كان بينهما من المودة، والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين، وذاك لأن الاشتراك في البلد، نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة... [1]. أهـ.

وليعلم أن مودة من لا يؤمن بالله محرمة شرعاً، وتنافي عقيدة الولاء والبراء في الإسلام، فقد قال تعالى:(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[المجادلة: ٢٢].

وقال:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[المائدة: ٥١].

وقال عليه الصلاة والسلام:«المرء مع من أحب[2]، فأسأل الله جل وعلا أن يجعلنا ممن يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً، وأن نكون معه في الجنة ».

والله تعالى أعلم

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٤٨٨/١).

(٢) أخرجه البخاري :(١٢٣/٤)، كتاب الأدب، باب: علامة حب الله جل وعلا، رقم: (٦١٦٩) عن ابن مسعود.

المبحث الثاني

صعوبة الالتزام بأوامر الشريعة والتطبيقات على ذلك

إن السياحة في بلاد الغرب، وفي البلاد التي يكثر فيها الفساد من بلاد المسلمين، تجعل من الصعب على السائح المسلم، التمسك بتعاليم دينه، فلقد منع بعض الفقهاء، التجار من السفر للتجارة بالأراضي الأجنبية، لئلا تجري عليهم أحكام دينهم، أما المسلمون السائحون لغير التجارة كالذاهب للنزهة، فلا يجوز سفره إليهم بالكلية، إلا لأمور ضرورية ذكرت في غير هذا الموضع.

فصعوبة التمسك بأوامر الشريعة تكون في أمور كثيرة، فعلى سبيل المثال، نعلم أن الله جل وعلا أمر بغض البصر من قبل الرجل والمرأة، فإلى أي جهة سوف يصرف الرجل نظره عن النساء السافرات، الكاسيات ، العاريات، المائلات المميلات حقيقة، فكل من حوله كذلك، وقد يكن في منظر يجرح الحياء، إن لم يذبحه، ثم قد يكون الرجل مصطحباً لأسرته، فيشاهد الأولاد هذه المناظر القبيحة، التي سوف تعلق في أذهانهم إلى الأبد، إن لم يقتدوا بهم في ذلك، فيكون رب الأسرة قد خان الأمانة فيهم، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[التحريم:٦]، وقال صلى الله عليه وسلم : «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[(١)].

وقد يؤدي كثرة النظر إلى النساء، والتعامل معهن في أماكن البيع والشراء، وغيرها من الأماكن، إلى تبلد الحس، فيعتاد السائح المسلم هذا الأمر، ولا يرى فيه محذوراً، فيؤدي به إلى الهلكة والعياذ بالله.

وقد تحصل بعض المضايقات من قبل بعض الفضوليين، الذين لم يعتادوا رؤية الحجاب الشرعي من قبل، فيؤدي هذا الأمر بدوره إلى أن تتساهل بعض ضعيفات الإيمان، فتترك الحجاب في خارج بلدها، وكأنه عادة وليس عبادة.

وهناك المتاعب التي تحدث، في سبيل البحث عن الأكل الحلال، الخالي من مشتقات الخنزير، وقد يأكل السائح المسلم على مائدة يدار عليها الخمر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«...

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر (٣٢٨/٤) كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى:(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ).

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر»[1]، وشرب الخمور في الطائرات أصبح مألوفاً في جميع الطائرات إلا من بعض الخطوط، مما قد يؤدي إلى تعرض عرضه إلى الأذى، ممن ذهبت عقولهم تحت تأثير الخمر من بعض الركاب.

هذا إذا ذهب السائح إلى البلاد الأجنبية، أما إذا جاء الأجانب إلى بلاد المسلمين، فدائرة التأثير سوف تتسع، فربما جاء مصطحباً زوجته أو عشيقته، وقد يكون قد أنجب منها بدون زواج، وهم لا يرون في ذلك بأساً، فيكون نموذجاً سيئاً يتعرف عليه المسلمون، ويخشى تحت وطأت الهزيمة النفسية، التي يعاني منها المسلمون، وضعف الوازع الديني عند كثير من المسلمين أن يؤدي ذلك إلى تقليدهم في الملبس، والمأكل والسلوك.

وإذا كثر الاختلاط بين المسلمين والغرب يخشى عندها سقوط حاجز الولاء والبراء، وهذا مما يجلب سخط الله تعالى ونقمته على الأمة.

والله تعالى أعلم

(١) أخرجه الترمذي(التحفة ٦٩/٨) أبواب الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في دخول الحمام، وقال: حديث حسن غريب، والحاكم (٣٢٠/٤)،كتاب الأدب، رقم (١٠١/٧٧٧٩)(عن جابر ﷺ)، وقال الحاكم: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في التلخيص(بحاشية الكتاب).

الخاتمة

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى، لا سيما محمد المصطفى.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم... وبعد؛

فها هو بحثي المتواضع عن «الآثار الإيجابية والسلبية للسياحة في ضوء الشريعة الإسلامية» وأسأل الله عز وجل أن ينفع به، وأن يكون لبنة لمن يريد أن يتم البناء.

والله تعالى ولي التوفيق

الباحث